نص "أمنيتها" لحنان القاسم ما بين الومضة القصصية والقصة القصيرة جدا

د. جمال الجزيري

جامعة السويس، مصر

سأتناول في هذه الدراسة نص "أمنيتها" للكاتبة المصرية من زاوية كونه ومضة قصصية أم قصة قصيرة جدا، وسأبدأ بتناول النص وجمالياته، ثم سأنتقل بعد ذلك للحديث عن انتمائه التجنيسي داخل فن القص. وها هو النص:

فردت جناحيها تعانق النسمات العابرات. همت بالطيران، فأبرقت السماء. وأفاقت من غفوتها الصغيرة.

نص مرويٌّ بضمير الغائب من منظور الشخصية التي هي في الغالب عصفورة أو طائر إذا كان فعل الطيران حقيقيا أو شخصية امرأة إذا كان هذا الطيران مجازيا.

المحرك الأساسي للحدث هنا شيآن: إرادة الشخصية أو أمنيتها الواردة في العنوان و"النسمات العابرة" التي تمثل الحركة الحرة في المكان، وهي حركة تفتقدها الشخصية. كما أن "عبور" هذه النسمات يدل على حريتها وعلى عدم تقيدها بالمكان، فتستطيع أن تنتقل من مكان لآخر دون قيد أو شرط.

وعندما تتوحد شخصية المرأة/العصفور مع طبيعة هذه النسمات، يمكن للشخصية أن تحقق أمنيتها وتستلهم النسمات باعتباره قدوة لها. وتستغل الشخصية هذا الجو وتهم فعلا بالطيران. ولكن صوت البرق يُحدث خللا في المشهد، إذ أنه يُحبط طيران الشخصية وتحليقها في الهواء أو مرافقتها للنسمات العابرة.

وعلى مستوى الواقع، لا يؤثر البرق كثيرا على طيران الطائر، أو على الأقل لا يمنعه من الطيران، حتى لو اضطر للطيران بحذر. ما المشكلة إذن؟ عندما نتأمل النص، نجد أن هذا البرق يرتبط بالسماء، الأمر الذي يجعلنا ننظر إليه على أنه صوت سماوي تحذيري، وكأن فعل الطيران سينتهك أحد

التعليمات الربانية أو الدينية، وهنا يكتسب البرق صفة النذير أو الضمير الذي ينبه الشخصية إلى خطورة ما تنوي القيام به.

وتأتي نهاية النص لتؤكد لنا أن كل ما حدث في الومضة حتى الآن عبارة عن حلم منامي حدث في مخيلة امرأة غفت قليلا، الأمر الذي يجعلنا ننظر للشخصية في هذه الومضة على أنها شخصيتان: شخصية توجد في الحلم وتسعى للتحرر من قيود الواقع أو تسعى لأن تستجيب لنزواتها، وشخصية توجد في الواقع لامرأة تعاني من ضغوط اجتماعية أو نفسية أو دينية أو جسدية ما و"تتمنى" أن تتحرر من هذه الضغوط أو تقوم بشيء يخففها ولو قليلا، ولكنها أمنيتها أو نزوتها تصطدم بالتعاليم الدينية وتصطدم بضميرها، فتعود إلى واقعها. وهذه العودة ليست عودة كلية تشبه حالتها قبل الحلم، فالحلم حقق إشباعا جزئيا مؤقتا بأن عبّر عن مصدر الكبت، والتعبير في حد ذاته صورة من صور التخفف والتحرر.

تحدثت حتى الآن عن جماليات النص وما تستدعيه صياغته من تأويل وغوص في الفنيات التي تتولد عن التراكيب اللغوية عندما تجتمع مع بعضها البعض داخل النص الواحد. وأود أن أتكلم الآن عن مدى انتماء النص من ناحية التجنيس الأدبي للومضة القصصية أم القصة القصيرة جدا.

صياغة النص بشكله الحالي تجعله أقرب للقصة القصيرة جدا وليس للومضة القصصية، فالنص يسير متسلسلا في الزمن الذي قد يمتد لدقائق، وهذا يرجع لطبيعة الحبكة التي تستعملها الكاتبة في صياغة نصها: والحبكة هي الزمن الذي يستغرقه تسلسل الحدث كما هو وارد في النص وصياغته، وليس كما حدث في الواقع المتخيَّل. وهنا نجد أن زمن الحدث كما في هذا الواقع المتخيل وزمن الحدث كما هو وارد في حبكة النص متطابقان، فالراوية بدأت من الأقدم فالأحدث.

ما يميز الومضة القصصية عن القصة القصيرة جدا مدى الحدث الزمني فيها، وهذا المدى لا يستغرق سوى لحظة أو لحظات لا تصل إلى الدقيقة الواحدة. ويمكن للكاتب أو الكاتبة أن يحوّل القصة القصيرة جدا إلى ومضة قصصية، أو على نحو أدق يقوم بإبقاء النص في نطاق الومضة القصصية من خلال صياغته بحبكة تبقيه في إطار اللحظة.

وعندما نخصص كلامنا ليقتصر على النص الذي بين أيدينا، نجد أن الجملة الأولى (التي تنقصها لام التعليل قبل الفعل "تعانق) هي السبب الذي يجعل النص يخرج إلى إطار القصة القصيرة جدا. كما أن هذه الجملة وراد جزء من معناها في الجملة التالية: فمن يهمّ بالطيران لابد وأنه قام بفرد جناحيه قبل ذلك. وكل من الومضة القصصية والقصة القصيرة جدا لا يحتمل ما أسميته من قبل في مجلة سنا الومضة القصصية بـ "الإسراف اللغوي"، فإذا كان هناك

تعبير يفترض وجود تعبير آخر، فلا داعي لاستخدام هذا التعبير الآخر.

ما أقصده أن الجملة الأولى لابد من حذف جزء منها وإدراج الجزء الآخر في ثنايا الجملة التالية، كأن نقول: "همَّت بالطيران لتعانق النسمات العابرة، فأبرقت السماء وأفاقت من غفوتها". فهنا يصير النص ومضة قصصية بامتياز لأنه حافظ على وحدة اللحظة التي تعتبر السمة الجوهرية للومضة القصصية، فسيكون هناك تزامن واقتران بين التفكير في الطيران وإبراق السماء، وأثناء ذلك أو نتيجة له تفيق الشخصية من غفوتها القصيرة.

باختصار، ما يميز الومضة القصصية عن القصة القصيرة جدا لحظية الحدث الوارد في الومضة القصصية وطريقة عرض هذا الحدث في الحبكة القصصية بحيث يكون زمن هذه الحبكة لحظة واحدة أو لحظات معدودة لا تصل إلى الدقيقة.